



هل يمكن الاستخفاف بالحملات التي يقوم بها مشاهير أو مغمورون من أجل قضايا عادلة على موقع التواصل الاجتماعي (تويتر وفيسبوك)؟

الإجابة ببساطة: "لا"؛ فهي في النهاية توقف هم أصحابها، وتنبه الغافلين وتوجد مساحة معرفية تطويها وسائل الإعلام المغرضة، وهي فضاء لابد من استغلاله، وهي في كل حال جهد المقلين المطوعين، وقد نهانا الله عز وجل عن لمز المطوعين، وأعلن سخريته ممن يسخر منهم، جزاءً وفاقاً.

لكن في المقابل، هل يمكن أن يصار إلى اختزال الجهود وإراحة النفوس بإطلاق حملات دعائية لا تغير كثيراً في معادلات القوة والتأثير، وتشعر مطليقيها أنهم قد استنفروا المجهود وفعلوا كل ما يمكنهم، وتنوم من ثم ضمائهم من جهد إطلاق وتبني والتغريد بكل وسم (هاشتاج) طيب؟!

وكذا، هل يمكن أن تصف دواءً واحداً لكل الأمراض التي تنهش جسدك، فيكون إطلاق وسم هو حل ناجع لإنقاذ أهل مدينة مكلومة تحت القصف، أو إعلان تبرئة من مهبطق، أو تضامن مع سجين رأي، أو احتجاج على قرار تغريبي، أو إظهار غضب من فعل ما، أو فضح مجرم، أو إبراز قضية عادلة، أو مساندة مبادرة.. الخ؟!

أيمكن أن ترتاح الضمائر لهذا الحل البسيط الذي يمكن اللجوء إليه بضغوطات أو لمسات أزرار دون كبير عناء أو تمحيص أفكار وابتكار؟!

الإجابة - للأسف - "نعم" .. حين يصير اللجوء إلى هذا الحل السهل تفريغاً تلقائياً لشحنات نفسية لا تجاوز كثيراً دقائق التصفح والتغريد.

هذا رائع جداً إن أتى من جموع الجماهير التي قد لا تحسن التفكير والتعمق، ولا تنفق وقتاً في جهد شاق من أجل الحصول على حل ناجع لمشكلة ما، بيد أنه مؤسف ومخجل حين يلجأ إليه المفكرون وقادة الرأي والتوجيه والتأثير في محظوظنا الإسلامي الفسيح الذي يضم بين جنباته ملياري مسلم متنوعي الثقافة والتعليم.

ليس شأن المفكرين وكبار قادة الرأي أن ينخرطوا في إطلاق وسم أو مساندة حملة فحسب، إن المأمول منهم ما يفوق هذا بكثير؛ فالمحنة الكبرى التي تمر بها أمتنا الإسلامية لا تزيلها تغريدات أو إبراء ساحات بكلمات قصيرة وجهود إبداعية نادرة وربما معدومة.

إن لم يتناهِ أهل الرأي والحكمة في الأمة لمثل هذا؛ فمتي يتنادون؟!

لقد كنا قبل ظهور موقع التواصل نسمع مع الخطباء وصية عند المحن والأحوال بالدعاء.. هذا جيداً تماماً بالطبع؛ فالدعاء يدفع البلاء، وإليه لجأ الأنبياء والمرسلون والمصلحون والمجاهدون.. لكن أتراه يجدي وحده حين يقصر الحكماء والعقلاء في استيلاد حلول لمشكلات عظيمة كتلك التي نفرق بها؟!

لقد مرت بالأمة محن وآلام ودفعت أثماناً باهظة من دماء أبنائها ما يشيب له الولدان، من عداون تتر وفرس وروم.. وهرع الناس إلى المساجد يجأرون إلى الله في العراق والأندلس.. في إفريقيا وآسيا وأوروبا، وقد كان من بينهم عبادُ أتقياء، ونساك أخفياء، لكن كانت سنة الله التي لا تحيد.. "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" ..

وقد كان من التغيير أن يتجهزوا لكل عداون.. قد كان منه أن يبدعوا ويبتكروا ويصنعوا الحلول لمشكلاتهم، قد جعل الله لكل داء دواء، فدواء مشكلاتهم كان بحلول رائدة، يمتص فيها الإخلاص بالإبداع والابتكار، وتتلاقى عندها التضحية والوعي.. عند هذا يتتوفر المناخ الملائم للتفاعل ويأتي الحافز لنجاح المعادلة في مختبر الحياة..

هذا، وإنما، فدواونا ليس إلا مسكنًا للذهاب بألم النفس، والإبقاء على التدهور قائماً.. هكذا، إن توقفنا وتحرك الجميع فنحن نتأخر لخطوات طويلة جداً في مجاهل التاريخ والتأثير، وحتى الوسم الذي به نفرح وإليه نلجم في كل منحدر سنفده هو الآخر، إذ لا تنسوا أنه من أدوات "اللأعاجم" .. صنعواه لغرض، وبوسعهم أن يمنعوه أو يجبروه بأي اتجاه أرادوا لو شاءوا.. وكذلك يفعلون.

المسلم

المصادر: